

Distr.: General
23 May 2005
Arabic
Original: Spanish

الجمعية العامة
مجلس الأمن



مجلس الأمن

السنة الستون

الجمعية العامة

الدورة التاسعة والخمسون

البند ١٤٨ من جدول الأعمال

التدابير الرامية إلى القضاء على الإرهاب الدولي

رسالة مؤرخة ٢١ أيار/مايو ٢٠٠٥ موجهة إلى الأمين العام من الممثل الدائم
لكوبا لدى الأمم المتحدة

أتشرف بأن أحيل إليكم طيه النص المعنون "سلوك مختلف"، وهو خطاب ألقاه
الرئيس فيديل كاسترو في ساحة مناهضة الإمبريالية "خوسيه مارتى" يوم ٢٠ أيار/مايو
٢٠٠٥ (انظر المرفق).

وأرجو ممتنا تميم هذه الرسالة ومرفقها باعتبارهما من وثائق الجمعية العامة في إطار
البند ١٤٨ ومن وثائق مجلس الأمن.

(توقيع) أورلاندو ريكيخو غوال

السفير

الممثل الدائم

مرفق الرسالة المؤرخة ٢١ أيار/مايو ٢٠٠٥ الموجهة إلى الأمين العام من الممثل الدائم لكوبا لدى الأمم المتحدة

سلوك مختلف

خطاب ألقاه فيديل كاسترو رويز، رئيس جمهورية كوبا في ساحة مناهضة الإمبريالية يوم ٢٠ أيار/مايو ٢٠٠٥

أيها المواطنون،

سأتلو عليكم حالا معلومات تبلورت استنادا إلى وثائق عديدة من محفوظاتنا. ولم يكن لديّ متسع من الوقت للتحضير، لكن الكثير من الرفاق مدوا لي يد المساعدة بالنظر إلى أنني وعدتكم بالراحة بأن يكون الخطاب جاهزا في الساعة السادسة من مساء اليوم. وقد اخترت أن أعنون هذا الخطاب "سلوك مختلف".

١٢ نيسان/أبريل ١٩٩٧: انفجرت قنبلة بمرفص "أتشيه" في فندق ميليا كويبا، في أول هجوم إرهابي يتم ضمن سلسلة الهجمات الإرهابية التي شنتها على الفنادق الشبكة التي أنشأها لويس بوسادا كاريلس في أمريكا الوسطى وتمولها المؤسسة الوطنية الأمريكية الكوبية.

٣٠ نيسان/أبريل ١٩٩٧: نجحت قوات خاصة من وزارة الداخلية في إبطال مفعول شحنة متفجرة اكتُشفت في الطابق الخامس عشر من فندق ميليا كويبا.

١٢ تموز/يوليه ١٩٩٧: وقع انفجاران متزامنان تقريبا في فندقي كابري وناثيونال. وأصيب أربعة أشخاص بجروح.

٤ آب/أغسطس ١٩٩٧: انفجرت قنبلة إرهابية في فندق ميليا كويبا.

١١ آب/أغسطس ١٩٩٧: نشر مجلس إدارة المؤسسة الوطنية الأمريكية الكوبية رسالة فيها تبجح وسخرية تصف الانفجارات التي وقعت في الفنادق بأنها "حوادث تمرد داخلي تشهدا كافة أنحاء الجزيرة على مدى الأسابيع القليلة الماضية" وتقول إن "المؤسسة الوطنية الأمريكية الكوبية [...] تساند تلك الأعمال دونا تردد أو تحفظ".

٤ أيلول/سبتمبر ١٩٩٧: وقعت انفجارات في فنادق كوباكابانا وشاتوه وتريتون، وفي لابوديغيتا ديل ميديو. وقتل سائح إيطالي شاب اسمه فابيو دي تشيلمو في أول انفجار منها.

وعلى أساس الأعمال الإرهابية المرتكبة في الفترة من ١٧ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٩٢ إلى ٣٠ نيسان/أبريل ١٩٩٧، وُضعت قائمة تتضمن ١٣ عملا خطيرا من هذا النوع استهدف بالذات المرافق السياحية، وتم تمويله بالكامل تقريبا من قبل المؤسسة الوطنية

الأمريكية الكويتية. وأُعد تقرير في هذا الشأن وقُدِّم إلى رئيس الولايات المتحدة بواسطة شخصية سياسية بارزة قامت بزيارة خاصة لكوبا في مطلع شهر أيار/مايو. وكانت الحكومة الأمريكية قد تلقت أيضا العديد من المذكرات عن هذه الوقائع من قسم المصالح الأمريكية في هافانا.

١ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٩٧، الساعة ٢٣/٠٠: اتصل مايكل كوزاك، رئيس قسم رعاية مصالح الولايات المتحدة هاتفيا بوزارة الخارجية لنقل معلومات من بلد ثالث تشير إلى إمكانية وقوع هجوم آخر بالقنابل على مرفق سياحي في هافانا أو المناطق المحيطة بها في غضون الـ ٢٤ ساعة المقبلة، يوم ١ أو ٢ تشرين الأول/أكتوبر. وقال كوزاك إنه ليس بوسعه تأكيد هذه المعلومات لكنه أراد إبلاغ الوزارة بها.

٢ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٩٧: استُدعي رئيس قسم رعاية مصالح الولايات المتحدة صباحا إلى وزارة الخارجية للحصول على مزيد من التفاصيل منه عن المعلومات المذكورة، ولشكره رسميا على ما نقله من معلومات.

٥ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٩٧: استُدعي رئيس قسم رعاية مصالح الولايات المتحدة إلى وزارة الخارجية حتى يتلو الجانب الكوبي عليه الرسالة التالية ويعطيه نسخة منها:

”بخصوص المعلومات المتعلقة باحتمال شن هجوم بالقنابل على مرفق سياحي في هافانا يوم ١ أو ٢ تشرين الأول/أكتوبر، نود القول إنه رغم عدم وقوع أي انفجار، فقد أكدت صحة هذه المعلومات تماما وتبين أن خصائص الهجوم مماثلة لخطط سابقة.

”وبالنظر إلى أن الأمر قد يهم أو يفيد السلطات الأمريكية، نود إبلاغها بأنه قد تبين صدق مصدر هذه المعلومات. وقد تصرف بغاية السرية كما طُلب إليه. ونعرب هنا عن تقديرنا البالغ“.

ورد رئيس قسم رعاية مصالح الولايات المتحدة قائلاً إن المعلومات المقدمة إليه مفيدة؛ وإن السلطات الأمريكية قد حصلت عليها ولكن من غير الممكن تأكيدها بالنظر إلى أنها مجرد شائعة؛ وإنه من الممكن الآن أن تزداد ثقة السلطات الأمريكية في المصدر؛ وقال إنه سيسافر إلى واشنطن يوم الأحد التالي آخذاً هذه المعلومات معه، وإنه يعتقد بأنها إيجابية؛ وأضاف أنه في حال حصول السلطات الأمريكية على مزيد من المعلومات من هذا المصدر فإنها ستعرف ما ينبغي عمله؛ وبأنها لم تكتشف أية أمور أخرى من التحقيقات التي أجريت في الولايات المتحدة ولكنها ستواصل تلك التحقيقات في أمريكا الوسطى، لا سيما بعد

المقال الذي نشر في صحيفة ميامي هيرالد. وقال إن أية معلومات لدى كوبا بإمكانها تقديمها إلى الولايات المتحدة ستكون مفيدة للغاية. وفي الختام قال إن "الأمر جيد".

٧ آذار/مارس ١٩٩٧: طلب رئيس قسم رعاية مصالح الولايات المتحدة أن يقابل أحد المسؤولين في وزارة الخارجية على وجه الاستعجال لنقل بعض المعلومات الحساسة. وقال إن لديه معلومات من مصدر لم يتم التأكد من مصداقيته تفيد بأن جماعة من الكوبيين في المنفى تخطط لشن هجوم بالقنابل في كوبا في الفترة ما بين ٧ و ٨ آذار/مارس، وأنه لا يعلم موقع الهجوم أو موعده أو هدفه المحدد لكن المصدر أفاد بأن المتفجرات توجد في كوبا بالفعل.

٩ آذار/مارس ١٩٩٧: اجتمع وزير الخارجية برئيس قسم رعاية مصالح الولايات المتحدة وتلا المذكرة التالية عليه:

"بخصوص المعلومات المقدمة شفويا يوم السبت الفائت، ٧ آذار/مارس، بشأن تدبير كوبيين في المنفى خططوا لشن هجمات إرهابية من الممكن تنفيذها يوم ٧ أو ٨ من هذا الشهر، وبشأن وجود متفجرات في كوبا فعلا، نود أن نبليكم بما يلي:

"١ - تبين مجددا أن مصادر معلومات السلطات الأمريكية بشأن هذه الأنشطة موثوق بها تماما.

"٢ - أُلقي القبض بعد ظهر يوم الأربعاء الفائت، ٤ آذار/مارس، على شخصين من الخارج وجُردا من المتفجرات وغيرها من المواد التي كانا يعتزمان استخدامها لتنفيذ أربع هجمات إرهابية مماثلة للهجمات التي وقعت سابقا، ومنظمة على منوالها يقصد بها نفس الأهداف وتستخدم فيها نفس الأساليب، وذلك مقابل وعد بالحصول على مبلغ نقدي معين مقابل كل قنبلة.

"٣ - وتحاول السلطات الكوبية جمع أكبر قدر ممكن من المعلومات الإضافية.

"٤ - وتعد هذه الأعمال الإجرامية بالغة الخطورة وتؤثر ليس على كوبا والولايات المتحدة فحسب، بل كذلك على بلدان أخرى في المنطقة. ونحن نتحمل واجب منع ارتكاب أعمال من هذا القبيل وإفلات الجناة من العقاب. ولن يكون هذا الأمر صعبا لو نسقت كوبا والولايات المتحدة مكافحة هذه الأعمال من خلال الهيئات المناسبة. وقد تحقق ذلك بجدية وسرية كاملة فيما يتعلق بحالات معينة من حالات الاتجار بالمخدرات.

”٥ - وحتى الآن، لم نتح هذه المعلومات للجمهور إلى حين اتخاذنا تدابير معينة وإكمال تحقيقاتنا، لكن لن يكون من الممكن تفادي إتاحة هذه المعلومات للجمهور في الوقت المناسب.

”٦ - ولكم منا خالص الشكر على المعلومات التي قدمتموها لنا“.

وبعد الانتهاء من التلاوة، كان رد الفعل الأولي لرئيس قسم رعاية مصالح الولايات المتحدة هو تقديم الشكر للسلطات الكويتية وتمنتها على كفاءتها. وأضاف أنه إذا كان لدى تلك السلطات مزيد من المعلومات أو الأدلة التي يمكن تتبعها لتحديد الجهة التي تدعم هذه الأنشطة أو تتحكم فيها، فإنه سيكون من المفيد للغاية لو أمكن نقلها نظرا لأن حكومة الولايات المتحدة قد اتخذت قرارا صارما بملاحقة المسؤولين عن هذه الأعمال وتطبيق القانون عليهم. وأصر كوزاك على أنه لا تتوفر للسلطات الأمريكية بعد معلومات عن مدبري هذه الأعمال، وأن هناك عدة أشخاص نفذوا أنشطة مماثلة في السابق غير أنهم لا يعيشون جميعا في ميامي أو يعملون فيها أو يمرون بها، بل ولا يمرون بالولايات المتحدة؛ وأن بعضهم يوجد في بلدان أخرى، وهي أمور تزيد جميعها من صعوبة اتخاذ إجراءات ضدهم؛ وقال إنه من الواضح لحكومة الولايات المتحدة أن هذه الأعمال لا تخدم مصلحة أي أحد. وأضاف موظف في قسم رعاية مصالح الولايات المتحدة كان بصحبته أن السلطات الأمريكية تعتقد أن ما قاله العقيد رابرو عبر شاشات التلفزيون من أن لدى كوبا تسجيلات لمكالمات هاتفية بين السلفادوري وشخص ما في أمريكا الوسطى أمر مثير للغاية وبأن هذه المعلومات ستكون مفيدة بشدة لأن من شأنها أن تسهل تحديد مكان الجهات التي تقف وراء هذه الأنشطة. وأضاف الإثنان أنه بعد انتهاء الحرب في أمريكا الوسطى، بقي العديد من الأشخاص من اليمين المتطرف في تلك البلدان وهم ضالعون في أنشطة إجرامية. وأعربا عن تقديرهما لأهمية القدرة على تأكيد موثوقية مصدرهما وقالوا إنهما يدركان أهمية العمل معا في هذا المجال. وفي نهاية الاجتماع، أكد مجددا أنه من المفيد للطرفين تقاسم أية معلومات لديهما.

١٨ نيسان/أبريل ١٩٩٨: بالنظر إلى عمليات تبادل وجهات النظر الإيجابية المذكورة آنفا، ولعلمي بقرب سفر الكاتب غابرييل غارسيا ماركيس إلى الولايات المتحدة، حيث سيجتمع مرة أخرى بويليام كلينتون، وهو قارئ لكتبه ومعجب بها - على غرار أناس عديدين آخرين في العالم - قررت أن أبعث رسالة إلى الرئيس الأمريكي أعددها شخصيا.

وتناولت الرسالة سبعة مواضيع تجمع بينها في إيجاز. وسأقتصر في هذا التقرير على المسألة الأولى التي لها صلة مباشرة بالأحداث الخطيرة التي تقع اليوم، أي الهجمات الإرهابية ضد الشعب الكويتي التي تدبر وتمول انطلاقا من الولايات المتحدة. وقد عنونت الرسالة:

موجز لما قيل لغابرييل غارسيا ماركيس ويمكنه نقله بصفة سرية إلى الرئيس كلينتون النقطة ١ (حرفيا)

”هذه مسألة هامة. إذ ما زالت مخططات الأعمال الإرهابية ضد كوبا تدبر وتمول من قبل المؤسسة الوطنية الأمريكية الكوبية باستخدام مرتزقة من أمريكا الوسطى. وقد نفذت محاولتان جديدتان لتفجير قنابل في منتجعات سياحية قبل زيارة البابا وبعدها. وقد أخفق سعي الجناة في الحالة الأولى، لكنهم تمكنوا من الفرار والعودة إلى أمريكا الوسطى جواً تاركين وراءهم معدات تقنية ومتفجرات تمت مصادرتها فيما بعد. وفي الحالة الثانية، أُلقي القبض على ثلاثة مرتزقة يحملون جنسية غواتيمالا وفي حوزتهم متفجرات ومعدات أخرى. وكانوا سيحصلون على ١ ٥٠٠ دولار من دولارات الولايات المتحدة عن كل قنبلة يفجرونها من القنابل الأربع.

”وفي كلتا الحالتين، كان عملاء الشبكة التي أنشأها المؤسسة الوطنية الأمريكية الكوبية هم الذين تعاقدوا مع هؤلاء الأشخاص وزودوهم بما يلزم. وهم يخططون الآن ويعدون العدة لتفجير قنابل على متن طائرات الخطوط الجوية الكوبية أو طائرات من بلد آخر تُقل سياحا وتساfer بين كوبا وبلدان أمريكا اللاتينية. والطريقة واحدة، وهي: إخفاء جهاز صغير في مكان ما على الطائرة، ومتفجرات قوية مزودة بفتيل تتحكم فيه ساعة رقمية يمكن برمجتها قبل التفجير. بمدة تصل إلى ٩٩ ساعة، ومغادرة الطائرة بصورة طبيعية في المقصد المحدد؛ ثم يحدث الانفجار إما بعد هبوط الطائرة أو في أثناء تحليقها باتجاه مقصدها التالي. إنها إجراءات شيطانية بالفعل: آليات سهلة الاستخدام، ومكونات يكاد يكون من المستحيل اكتشافها، وحد أدنى من التدريب اللازم على الاستخدام، وإفلات شبه تام من العقاب. وخطورة بالغة على شركات الخطوط الجوية والمرافق السياحية وأي نوع آخر من المنشآت، وأدوات يمكن استخدامها لارتكاب جرائم في منتهى الخطورة. ولو أن هذه الأدوات كُشفت ولو أن إمكاناتها عُرُفت، لكان من الممكن أن تصبح وباء كما كان الحال من قبل فيما يتعلق باختطاف الطائرات. وقد بدأت جماعات متطرفة أخرى من أصل كوبي مقيمة في الولايات المتحدة في التحرك في ذلك الاتجاه.

”ولدى وكالات التحقيقات والمخابرات الأمريكية ما يكفي من المعلومات الموثوقة عن الجناة الرئيسيين. وبإمكانها لو رغبت حقاً في ذلك أن تمنع هذا النوع الجديد من الإرهاب في الوقت المناسب. وسيكون من المستحيل إيقافه إذا لم تؤد

الولايات المتحدة واجبها الأساسي المتمثل في مكافحته. ولا يمكن إلقاء مسؤولية مكافحته على عاتق كوبا بمفردها لأن من الممكن في وقت قريب للغاية أن يقع أي بلد آخر في العالم أيضا ضحية مثل هذه الأعمال“.

٧ أيار/مايو ١٩٩٨: اجتماع غابرييل غارسيا ماركيس في البيت الأبيض

تقرير حربي لغابرييل غارسيا ماركيس عن مهمة إيصال الرسالة إلى الرئيس كلينتون نسخة حرفية دون حذف أية كلمة

”في نهاية آذار/مارس، عندما أكدت الجامعة برينستون مشاركتي في حلقة عمل أدبية بدءا من ٢٥ نيسان/أبريل، طلبت من بيل ريتشاردسون في اتصال هاتفي أن يرتب لي القيام بزيارة خاصة للرئيس كلينتون من أجل التحدث معه عن الوضع في كولومبيا. وطلب مني ريتشاردسون أن أتصل به قبل أسبوع من سفري ليعطيني جوابا. وبعد ذلك بأيام قليلة، كنت في هافانا أبحث عن بيانات كانت تنقصني من أجل تقرير صحفي كنت سأكتبه عن زيارة البابا، وأثناء حديث لي مع فيديل كاسترو أشرت إلى إمكانية مقابلي للرئيس كلينتون.

”ومن هنا خطرت لفيدل فكرة توجيه رسالة سرية لكلينتون بشأن مخطط إرهابي مشؤوم كانت كوبا قد اكتشفته لتوها، وهو مخطط من شأنه أن يؤثر ليس على البلدين فحسب، وإنما أيضا على بلدان كثيرة أخرى. وقرر بنفسه ألا تكون الرسالة شخصية لكي لا يضع كلينتون في مأزق الرد عليها؛ وفضل ملخصا مكتوبا لمحدثنا بشأن المؤامرة ومواضيع أخرى ذات اهتمام مشترك. وبالإضافة إلى النص، أوعز لي بسؤالين غير مكتوبين يمكنني أن أثيرهما مع كلينتون إذا كانت الظروف مواتية.

”في تلك الليلة، أدركت أن رحلتي إلى واشنطن دخلت انعطافة غير متوقعة وهامة، وأنه لم يعد بإمكانني أن أنظر إليها كمجرد زيارة خاصة. وبالتالي لمؤكد لريتشاردسون موعد وصولي فحسب، وإنما أعلنت له بالهاتف أنني أحمل رسالة مستعجلة إلى الرئيس كلينتون.

”واحتراما للسرية المتفق عليها، لم أكشف له على الهاتف عن هوية مرسلها - برغم أنه لا بد وأن يكون قد حمّنه - ولا أشرت إليه بأن تأخير التسليم قد يتسبب في كوارث كبرى وفي وفاة أبرياء. ولم يصل جوابه خلال الأسبوع الذي قضيته في برينستون، وهذا ما جعلني أفكر في أن البيت الأبيض كذلك بصدد تقييم

التغيير الذي طرأ على السبب في طلبتي الأول. بل ووصل بي الأمر إلى حد التفكير عن أنه لن تتم الموافقة على المقابلة.

”وما إن وصلت إلى واشنطن يوم الجمعة ١ أيار/مايو، حتى أخبرني أحد مساعدي ريتشاردسون على الهاتف أن الرئيس لا يستطيع استقبالي لأنه سيكون في كاليفورنيا إلى غاية يوم الأربعاء الموافق ٦ أيار/مايو، وأنا كنت أعتزم السفر إلى المكسيك يوما واحدا قبل ذلك التاريخ. واقترحوا بدلا من ذلك أن ألتقي بمدير شؤون مجلس الأمن القومي التابع للرئاسة، سام بيرغر، الذي يمكن أن يتلقى الرسالة نيابة عن الرئيس.

”ارتبت في أنهم يضعون شروطا لكي تصل الرسالة إلى أجهزة الأمن وليس إلى يدي الرئيس. وكان بيرغر حاضرا خلال استقبال خصني به كليتون في المكتب البيضاوي بالبيت الأبيض في أيلول/سبتمبر ١٩٩٧ ولم تكن مداخلته النادرة بشأن الحالة في كوبا مخالفة لمداخلات الرئيس، لكن لا يمكنني القول إنه كان يشاطره كل الآراء دون تحفظات. وبالتالي، لم أشعر بأنني مسموح لي أن أقبل على عهدي البدلي القائم على أن يستقبلي بيرغر بدلا عن الرئيس، خاصة وأن الأمر يتعلق برسالة على هذه الدرجة من الحساسية، إضافة إلى أنها لم تكن رسالتي. وكان رأيي الشخصي أنها لا يمكن أن تُسلم إلا إلى كليتون شخصيا.

”والأمر الوحيد الذي خطر لي فورا هو إبلاغ مكتب ريتشاردسون أنه إذا كان تغيير المخاطب يرجع فقط إلى غياب الرئيس، فإنه يمكنني أن أمدد مقامي في واشنطن حتى عودته. وأجابوني بأنهم سيبلغونه. وبعد ذلك بقليل، وجدت في الفندق الذي كنت مقيما فيه رسالة هاتفية من السفير جيمز دوينز، مدير شؤون البلدان الأمريكية في مجلس الأمن القومي، لكنني فضلت ألا أؤكد استقبالها في الوقت الذي كان فيه اقتراحي بانتظار الرئيس قيد النظر.

”لم أكن في عجلة من أمري. فقد كتبت أزيد من ٢٠ صفحة مفيدة من ذكرياتي في حرم برينستون الرائع الجمال ولم يتراجع معدل الكتابة هذا في غرفتي التي تفتقر إلى اللمسات الشخصية في فندق واشنطن حيث كنت أقضي في الكتابة ما يصل إلى ١٠ ساعات يوميا. ومع ذلك، ورغم رفضي الاعتراف بذلك، فإن السبب الحقيقي لانعزالي كان هو حراسة الرسالة التي كانت مودعة في الخزينة. وكنت قد فقدت معظما في المطار المكسيكي لأنني كنت أحرس في نفس الوقت حاسوبي المحمول، والحقيبة التي كنت أضع فيها مسودات وأقراص الكتاب الذي

كنت أشتغل فيه والنسخة الأصلية للرسالة التي ليس لها نسخ. وكانت مجرد فكرة فقدان الرسالة تشير في قشعريرة خوف، ليس بسبب فقدانها في حد ذاته، بقدر ما هو لسهولة تحديد مصدرها ووجهتها. وهكذا، كرست نفسي لحراستها بينما كنت أكتب وأكل وأتلقى الزيارات في غرفة الفندق الذي كانت خزينته غير جديدة بالثقة على الإطلاق، لأنها لم تكن توصل بقفل مشفر وإنما بمفتاح يبدو أنه ابتيع من محل للأدوات المعدنية عند الزاوية. وكنت أحمل المفتاح في جيبي دوماً وبعد كل مرة أضطر فيها إلى الخروج من غرفتي كنت أتأكد من أن الورقة لا تزال في مكانها وفي الظرف المختوم. وقد قرأت هذه الورقة كثيراً لدرجة أنني حفظتها عن ظهر قلب، وذلك لكي أحس أنني أكثر اطمئناناً إذا كان عليّ أن أوضح أي مسألة من المسائل وقت التسليم.

”وكنت مسلماً بأن كل محادثاتي الهاتفية في تلك الأيام - وكذلك محادثات المتكلمين معي - كان يجري التنصت عليها. لكنني بقيت مطمئن البال لكوني في مهمة لا ملام فيها، تفيد كوبا كما تفيد الولايات المتحدة. وكانت المشكلة الخطيرة الأخرى لدي هي عدم وجود من أستطيع أن أبوح له بشكوكي دون أن أنتهك السرية. وقد وضع الممثل الدبلوماسي الكوبي في واشنطن، فرناندو ريميريس، نفسه رهن إشارتي تماماً لإبقاء قنوات الاتصال مفتوحة مع هافانا. لكن الاتصالات السرية انطلقاً من واشنطن بطيئة وخطيرة - وخاصة بالنسبة لحالة على هذه الدرجة من الحساسية - بحيث لا يمكن أن يقوم بها إلا مبعوث خاص. وكان الجواب التماساً لطيفاً بأن أنتظر في واشنطن بقدر ما يقتضيه الوفاء بمهمتي، تماماً مثلما قررت، وفي نفس الوقت طُلب إليّ أن أحرص على عدم إشعار سام بيرغر بأنه غير مرغوب فيه بسبب عدم قبول التحدث إليه كمخاطب. ولم تكن الخاتمة المازحة للرسالة تحتاج إلى توقيع لمعرفة كاتب الرسالة: ”نتمنى أن تكتب كثيراً“.

”وبضربة حظ مواتية، نظم الرئيس السابق سيزار غافيريا ليلة الاثنين عشاءً خاصاً مع توماس ”ماك“ ماكلارتي الذي كان قد استقال لتوّه من منصبه كمستشار للرئيس كلينتون لشؤون أمريكا اللاتينية، لكنه كان لا يزال أقدم أصدقائه وأكثرهم قرباً. وكنا قد تعارفنا في السنة السابقة، ومنذ ذلك الحين خططت أسرة غافيريا للعشاء لهدفين، هما: التحدث مع ماكلارتي عن الحالة الغامضة لكولومبيا، وإرضاء زوجته التي كانت ترغب في استيضاح بعض النقاط التي تشغلها بشأن كتيبي.

”وقد بدت تلك فرصة من السماء. فغافيريا صديق عظيم ومستشار ذكي وأصيل ومطلع أكثر من أي كان على واقع أمريكا اللاتينية، وهو مراقب يقظ ومتفهم للواقع الكوبي. وقد وصلت إلى بيته قبل الموعد بساعة، وحيث إنه لم يكن لديّ وقت لاستشارة أي كان سمحت لنفسني أن أكشف جوهر مهمتي له لكي يستطيع تنويري.

”وقد أوضح لي غافيريا البعد الحقيقي للمشكلة ورتب لي أجزاءها. وقد بيّن لي أن الاحتياطات التي اتخذها مستشارو كلينتون ما هي إلا احتياطات عادية، بالنظر إلى المخاطر السياسية والأمنية التي ينطوي عليها استقبال رئيس أمريكي شخصيا لمعلومات على هذه الدرجة من الحساسية من خلال قناة غير معتادة. ولم يكن عليه أن يوضح ذلك لأنني تذكرت فورا سابقة مشابهة: فخلال عشائنا في مارتا زينيارد، خلال أزمة الهجرة الجماعية سنة ١٩٩٤، أذن لي الرئيس كلينتون بأن أحدثه عن هذه القضية وقضايا أخرى ساخنة في كوبا، لكنه نبهني مسبقا إلى أنه لا يستطيع أن ينبس ببنت شفة. ولن أنسى أبدا مدى التركيز الذي أنصت به إليّ والجهود البالغة التي كان عليه بذلها لكي لا يرد عليّ في بعض المواضيع الخلافية.

”ونبهني غافيريا كذلك إلى أن بيرغر موظف كفؤ وجاد يجب أخذه بعين الاعتبار فيما يخص العلاقات مع الرئيس. وأظهر لي علاوة على ذلك أن مجرد تكليفه بلقائي هو أمر ينم عن تقدير خاص رفيع المستوى، بما أن الطلبات الخاصة مثل طلبي عادة ما تأخذ سنوات في المكاتب الخارجية للبيت الأبيض أو تحول إلى موظفين صغار في وكالة المخابرات المركزية أو وزارة الخارجية. وكان غافيريا على أي حال يبدو متأكدا من أن النص الذي سلم إلى بيرغر سيصل إلى يد الرئيس، وهذا كان هو الأساس. وأخيرا، وكما كنت أحلم، قال لي إنه ستركز في نهاية العشاء على انفراد مع ماكلاوتي الذي سيفتح لي الطريق المباشر مع الرئيس.

”وكانت الليلة ممتعة ومثمرة، إذ لم يكن هناك سوى نحن وأسرّة غافيريا. وماكلاوتي من أهل الجنوب، مثل كلينتون، وكلاهما سهل المراس ومباشر مثل أهل منطقة البحر الكاريبي. وكانت الكلفة قد زالت بيننا منذ البداية في أثناء العشاء، وخاصة فيما يتعلق بسياسة الولايات المتحدة إزاء أمريكا اللاتينية، وخاصة فيما يتعلق بالاتجار بالمخدرات وعمليات السلام. وكان ”ماك“ مطالعا إلى درجة أنه كان يعرف حتى أصغر تفاصيل المقابلة التي خصني بها الرئيس كلينتون في

أيلول/سبتمبر الماضي، والتي نوقشت فيها بتعمق مسألة إسقاط الطائرات في كوبا وأشير فيها إلى فكرة أن البابا كان وسيطا للولايات المتحدة خلال زيارته لكوبا.

”وكان الموقف العام لماكلارتي من العلاقات مع كولومبيا - وهي المسألة التي كان يبدو مستعدا للعمل من أجلها - هو أن سياسات الولايات المتحدة تتطلب تغييرا جذريا. وقال لنا إن الحكومة مستعدة للاتصال بأي رئيس منتخب من أجل المساعدة حقيقة على إحلال السلام. لكن لم تكن لديه، أو لدى غيره من الموظفين الآخرين الذين تحدثت معهم لاحقا، فكرة واضحة عما يمكن أن تكون عليه هذه التغييرات. وكان الحوار صريحا وسلسا إلى درجة أنه عندما تركنا غافيريا وأسرتة وحدنا في غرفة الطعام، كنت وماكلارتي نبدو صديقين قديمين.

”وقد كشفت له دون أدنى تردد محتوى الرسالة الموجهة إلى رئيسه ولم يخف مفاجأته من المخطط الإرهابي، حتى دون أن يعرف التفاصيل الفظيعة. ولم يكن على علم بطلي مقابلة الرئيس، لكنه وعد بأن يكلمه بمجرد عودته من كاليفورنيا. وتجرت متشجعا بيسر الحوار على أن أقترح عليه مرافقتي إلى مقابلة الرئيس، وحذا لو كان ذلك دون حضور أي موظف آخر، لكي نستطيع الحديث دون تحفظات. وكان السؤال الوحيد الذي وجهه إليّ بخصوص ذلك - ولم أعرف أبدا السبب في ذلك - هو ما إذا كان ريتشاردسون يعرف محتوى الرسالة، وأجبتة بلا. عندها أنهى الحديث على وعد بأن يحدث الرئيس.

”وفي وقت مبكر من يوم الثلاثاء، أطلعت هافانا عن طريق القناة التي أصبحت معتادة على النقاط الأساسية التي نوقشت أثناء العشاء، وسمحت لنفسني بسؤال جاء في حينه: إذا قرر الرئيس في النهاية عدم استقبالي وأوكل المهمة لماكلارتي وبيرغر، إلى أيهما يجب أن أسلم الرسالة؟ وبدا الجواب لصالح ماكلارتي، لكن مع الحرص على عدم الإساءة لبيرغر. وفي ذلك اليوم، تناولت الغداء في مطعم بروفانس مع السيدة ماكلارتي، بما أن حديثنا الأدبي لم يكن ممكنا خلال عشاء غافيريا. ومع ذلك، سرعان ما استنفدت الأسئلة التي كانت مسجلة لديها، ولم يبق هناك إلا فضولها بشأن كوبا. وقد أوضحت لها كل ما أستطيع وأحسب أن ذلك أراحها، وعند تناول الحلوى، اتصلت من على المائدة بزوجها دون أن أطلب منها ذلك، وأخبرني أنه لم ير الرئيس بعد لكنه يتوقع أن يأتيني بخير خلال النهار.

”وبالفعل، وقبل مرور ساعتين أخبرني أحد مساعديه عن طريق مكتب سيزار غافيريا أن اللقاء سيجري غدا في البيت الأبيض، مع ماكلارتي وثلاثة من

كبار موظفي مجلس الأمن القومي. وفكرت أنه لو كان سام بيرغر أحدهم لذكروه بالاسم، وعندها انتابني شعور معاكس، فقد هالني ألا يكون حاضرا. وسألت نفسي إلى أي حد يمكن أن يكون ذلك راجعا إلى عدم انتباه مني في مكالمات هاتفية مسجلة؟ إلا أن ذلك لم يعد هاما الآن: ما دام ماكلاوتي قد رتب الأمر مع الرئيس، فإن هذا الأخير لا بد وأن يكون على علم بالرسالة. ومن ثم، قررت على الفور ودون استشارة أحد ألا أنتظر أكثر من ذلك: سأذهب إلى الموعد لأسلم الرسالة إلى ماكلاوتي. وكنت مطمئنا إلى درجة أنني حجزت في رحلة مباشرة إلى المكسيك الساعة الخامسة والنصف من مساء اليوم التالي. وبينما أنا في هذا الشأن، تلقيت من هافانا الجواب على آخر استشاراتي، وكان يشتمل على أكثر إذن محرر تلقيته في حياتي وهو: "إننا نثق في موهبتك". وكان الموعد الساعة ١١/١٥ من يوم الأربعاء ٦ أيار/مايو في مكتب ماكلاوتي في البيت الأبيض. واستقبلني الموظفون الثلاثة المذكورون من مجلس الأمن القومي: ريتشارد كلارك، المدير الرئيسي للشؤون المتعددة الأطراف ومستشار الرئيس في جميع مسائل السياسة الدولية، وخاصة مكافحة الإرهاب والمخدرات؛ وجيمز دوينز، المدير الرئيسي لشؤون البلدان الأمريكية. مجلس الأمن القومي، بدرجة سفير ومستشار الرئيس لأمريكا اللاتينية ومنطقة البحر الكاريبي؛ وجيف دلورينتيس، مدير شؤون البلدان الأمريكية في مجلس الأمن القومي ومستشار الرئيس المتخصص في موضوع كوبا. ولم تسنح أية فرصة في أي وقت للسؤال عن السبب في عدم حضور بيرغر. وكان المسؤولون الثلاثة يتسمون بالدماثة والالتزام البالغ بآداب السلوك المهني.

"ولم أكن أحمل معي مفكرة شخصية - لكنني كنت أعرف الرسالة في أدق تفاصيلها، وسجلت في مفكرتي الإلكترونية الأمر الوحيد الذي كنت أخشى نسيانه، وهو السؤالان غير الموجودين في النص. وكان "ماك" يوشك على الانتهاء من اجتماع في مكتب آخر. وفي انتظار وصوله، قدم لي دوينز رؤية شاملة متشائمة جدا عن الوضع في كولومبيا. وكانت البيانات المتوافرة لديه هي نفسها التي تحدث عنها ماكلاوتي على العشاء يوم الاثنين، لكنه كان يتعامل معها بدراية أكبر. وكنت قد قلت لكلينتون في السنة السابقة إن سياسة الولايات المتحدة لمكافحة المخدرات عامل مفاقم وخيم العواقب للعنف التاريخي في كولومبيا. ولهذا استرعى انتباهي أن هذا الفريق من مجلس الأمن القومي - دون الإشارة إلى عبارتي بالتحديد - كان يبدو متفقا على ضرورة تغيير ذلك. وكانوا حريصين جدا على عدم إصدار أحكام على الحكومة ولا على المرشحين الحاليين، لكنهم لم يدعوا مجالا للشك في أن الوضع

يبدو لهم كارثيا وأن المستقبل غير واضح. ولم أكن سعيدا بالتعديلات المقترحة، نظرا لأن العديد من مراقبي سياستنا في واشنطن علقوا لي على ذلك بانزعاج: فقد قال لي أحدهم ”أما وقد بدأوا الآن يريدون المساعدة حقاً فهم أخطر من أي وقت مضى، لأنهم يريدون أن يتدخلوا في كل شيء“.

”ودخل ماكلاوتي ببذلة محبوكة الصنع وبأسلوبه اللطيف، لكن تبدو عليه عجلة شخص قطع أمرا جلالاً ليعتني بنا. لكنه مع ذلك أضفى على الاجتماع طابعا هادئا ومفيدا وحسن السجية. ومنذ ليلة العشاء أعجبتني كونه يتحدث وهو دوماً ينظر مباشرة في عيني مخاطبه. وهكذا كان في الاجتماع. وبعد معانقة ودية، جلس قبالي واضعاً يديه على ركبتيه وبدأ الحديث بجملة معتادة قيلت بطريقة جميلة إلى درجة بدت معها حقيقة: ”نحن رهن إشارتك“.

”وقد أردت أن أوضح منذ البداية أنني سأحدث بصفتي الخاصة دون أي استحقاق ولا ولاية أخرى غير كوني كاتباً، وخاصة فيما يتعلق بقضية شائكة وممرجة مثل كوبا. وهكذا بدأت من أجل أجهزة التسجيل المخبأة بنقطة لم تبد لي من دون طائل، فقلت: ”هذه ليست زيارة رسمية“.

”وهزوا جميعاً رؤوسهم بالموافقة، وأدهشني سلوكهم المهيّب المفاجئ. وعندها حكيت بطريقة بسيطة وبأسلوب سردي دارج متى كانت المحادثة تمت مع فيديل كاسترو والتي كانت وراء المذكرات غير الرسمية التي عليّ أن أسلمها للرئيس كلينتون، وما جرى في تلك المحادثة والسبب من ورائها. وسلمت المذكرات لماكلاوتي في الظرف المختوم وطلبت منه أن يتفضل بقراءتها ليتمكن التعليق عليها. وكانت هذه المذكرات عبارة عن ترجمة انكليزية لسبعة مواضيع واردة في ستة وريقات بخط واسع، وهي: ”مخطط إرهابي، وارتياح نسبي للتدابير المعلنة في ٢٠ آذار/مارس بشأن استئناف الرحلات الجوية إلى كوبا من الولايات المتحدة، ورحلة ريتشاردسون إلى هافانا في كانون الثاني/يناير سنة ١٩٩٨، وتعليل رفض كوبا للمساعدة الإنسانية، والشكر للبتاغون على التقرير الإيجابي المتعلق بالوضع العسكري في كوبا“ – وأضيف من جانبي أنه تقرير أكد أن كوبا لا تشكل أي خطر على أمن الولايات المتحدة، والتأييد لحل أزمة العراق؛ والامتنان للتعليقات التي أدلى بها كلينتون أمام مانديلا وكوفي عنان بشأن كوبا“.

وهو يقدم هنا، كما يبدو، سرداً للمواضيع الأخرى.

”و لم يقيم مالا رتي بقراءتها جهرا على مسامع الجميع كما كنت أتوقع، وهو ما كان سيفعله دون شك لو كان يعلم مضمونها سلفا، وإنما قرأها بعجالة في سره على طريقة الرئيس كنيدي التي أصبحت تقليدا متبعا، ولكن انفعالاته كانت تنعكس على وجهه كانعكاس الضياء على الماء. فأنا قرأتها مرارا وتكرار بحيث كنت أعرف من انفعالاته أين وصل في قراءة الوثيقة.

”فعندما وصل إلى النقطة الأولى المتعلقة بالمؤامرة الإرهابية، غمغم قائلا ’يا للهول‘ وفي موضع آخر غالب نفسه ليكتفم ابتسامة خبيثة، وهتف وهو يواصل القراءة ’لنا أعداء مشتركون‘. وأعتقد أنه قال ذلك عندما وصل إلى النقطة الرابعة التي يرد فيها وصف للمؤامرة التي تعدها مجموعة من أعضاء مجلس الشيوخ لمنع اعتماد مشروع قانون توريس - رانغال، وقانون دود، وترد فيها عبارات الامتنان للرئيس كلينتون عما بذله من جهود لإنقاذ هذين المشروعين.

”وبعد أن فرغ من قراءة الوثيقة، ناولها إلى دوبيتر الذي ناولها بدوره إلى كلارك واطلع كلاهما على فحواها بينما كان ’ماك‘ يثنى على شخصية مورتيمر زوكرمان المحرر وصاحب مجلتي يواس نيوز وورلد ريبورت الذي كان قد سافر إلى هافانا في شباط/ فبراير الماضي. وقد صدر تعليقه ذلك تعقيبا على إشارة اطلع عليها لتوه في النقطة السادسة من الوثيقة ولكنه لم يجب على السؤال الوارد في ثناياها بشأن ما إن كان زوكرمان قد أبلغ كلينتون بفحوى الحادثتين اللتين أجراهما مع فيديل كاسترو واستغرقتا اثنتي عشرة ساعة‘.

”واستأثر مخطط الإرهابيين عمليا بكل المدة المفيدة من الوقت الذي أعقب القراءة، حيث تركت لدى الجميع انطبعا مثيرا. وحدثتهم عن رحلتي بالطائرة إلى المكسيك بعد إطلاعي في هافانا على ذلك المخطط، ووصفت لهم كيف كنت أحاول التغلب على فزعي وأنا أتخيل انفجار القنبلة. ثم وجدت أن الفرصة سانحة لألقي أول سؤال شخصي اقترحه على فيديل كاسترو، وهو: هل من الممكن أن يتصل ضباط مكتب التحقيقات الاتحادي بنظرائهم الكوبيين من أجل شن حملة مشتركة ضد الإرهاب؟ ودون انتظار إجابتهم، أضفت قائلا من عندي ’أنا متيقن من أن السلطات الكوبية ستستجيب سريعا لهذه الخطوة‘.

”وأدهشني رد أربعتهم السريع والحازم، فقد قال كلاك الذي كان يبدو أكثرهم إلماما بالموضوع إن الفكرة جيدة جدا ولكن حذرتني من أن المكتب الفيدرالي لا يقبل التحقيق في مسائل تتسرب أخبارها إلى الصحافة والتحقيقات لا تزال

جارية. وسألني عما إذا كان الكوبيون مستعدين لحفظ السر؟ ولما كنت متشوقا لطرح السؤال الثاني، سارعت بالإجابة بأنه 'ليس ثمة ما يحبه الكوبيون أكثر من حفظ الأسرار'.

”وبما أنه لم يكن لدي سبب وجيه لطرح ذلك السؤال الثاني، فقد قررت أن أطرحه كما لو كان تأكيدا من جانبي، على النحو التالي: إن التعاون في المجال الأمني قد يفتح الباب لقيام الأجواء المناسبة للإذن من جديد للأمريكيين بالسفر إلى كوبا. بيد أن حيلتي أتت بنتائج عكسية، حيث ارتبك دوبيتر وقال إن هذا الأمر سيسوى عندما يتم تنفيذ التدابير التي أعلن عنها في ٢٠ آذار/مارس.

”وبعد أن أوضحت لهم أنهم أساءوا فهمي، حدثتهم عما أعرض له من ضغوط من العديد من سكان الولايات المتحدة من مختلف المشارب لكي أساعدهم على الذهاب إلى كوبا لممارسة أعمال تجارية أو على سبيل الترفيه. وضربتم لهم مثلا على ذلك في شخص دونالد نيوهاوس، كاتب المقالات في أعمدة عدة جرائد ورئيس الأشوسيتيد بريس الذي دعاني إلى عشاء فاخر في بيته الريفي في نيوجرسي بعد انتهاء حلقة العمل الأدبية التي دعيت إليها في جامعة برينستون. وأبلغتهم كيف أنه يحلم حاليا بالذهاب إلى كوبا ليفتح فيدال كاسترو شخصا برغبته في فتح مكتب دائم هناك لأشوسيتيد بريس كالمكتب التابع لشبكة سي إن إن.

”ويبدو لي - وإن لم أكن متأكدا - أنه كان واضحا من المناقشة المحترمة التي جرت في البيت الأبيض أنهم لم يكن في نيتهم الإذن في وقت قريب بسفر الأمريكيين مجددا إلى كوبا أو لم تكن لديهم أي فكرة عن ذلك أو أي رغبة في الحديث عن ذلك. غير أنني أؤكد أنه لم يرد قط في أي وقت من الأوقات ذكر للإصلاحات الديمقراطية أو الانتخابات الحرة أو حقوق الإنسان أو أي من الكليشيهات السياسية التي يحاول الأمريكيون وضعها شروطا لأي مشروع للتعاون مع كوبا. وكان الانطباع الثابت الذي خرجت به من رحلتي مؤداه، على النقيض من ذلك، أن المصالحة بدأت تتشكل في الضمير الجمعي كواقع محتوم.

”ولفت كلارك نظرنا إلى أن المحادثة بدأت تخرج عن مسارها وخاطبني قائلا - وكأنه يريد تحميلي رسالة أنقلها - أنهم سيتخذون خطوات فورية لوضع خطة مشتركة مع كوبا لمكافحة الإرهاب. وقال دوبيتر بعد أن سجل ملاحظات طويلة في مفكرته أنهم سيتصلون بسفارهم في كوبا لتنفيذ المشروع. وعلقت ساخرا على وصفه لقسم رعاية المصالح بالسفارة، فرد علي تعليقي مداعبا. ”إن ما لدينا

هناك ليس سفارة وإنما شيء أكبر بكثير من ذلك“ وضحك جميعهم بطريقة تشي بوجود نوع من التواطؤ بينهم. ولم تناقش أي نقاط أخرى حيث لم يكن الوضع مناسباً ولكني أتصور أنهم فعلوا ذلك بعدما أن انفردوا بأنفسهم.

”وقد استغرق الاجتماع خمسين دقيقة بما في ذلك الوقت الذي مر في انتظار ’ماك‘. وختم ’ماك‘ الاجتماع بجملة تتكرر في مثل هذه المناسبات، حيث قال ’أعلم أن جدول أعمالكم ضيق جداً قبل العودة إلى المكسيك ونحن أيضاً أمامنا الكثير‘. ثم حرر بعد ذلك مباشرة فقرة قصيرة ودقيقة بدا لي أنها رد رسمي على مسعانا. وأكون متهوراً لو نقلتها هنا بحذافيرها ولكن يستشف من معانيها وعباراتها اعترافهم بأهمية الرسالة التي استلموها وبأنها تستحق كل الاهتمام من جانب حكومتهم التي ستسارع في الحال باتخاذ الإجراءات اللازمة. وكمن يريد خاتمة سعيدة، نظر في عيني وأثنى علي بقوله ”إن مهمتكم كانت بالفعل على قدر كبير من الأهمية وقد قمتم بها على وجه حسن جداً“. ولن أدع هذه الجملة التي تمجدي تمر وتموت حبيسة الميكروفونات المزروعة في المزهريات، دون أن أدونها هنا لأن اعتزازي الكبير بها وقلة تواضعي يمنعاني من ذلك.

”وغادرت البيت الأبيض وقد استقر لدى انطباع بأن جهود وشكوك الأيام الماضية لم تذهب عبثاً. وكان عزائي في تحمل الضيق الذي انتابني بسبب عدم تمكني من إيصال الرسالة إلى كلينتون بنفسي، اشتراكي في ذلك من اجتماع أبعد عن الطابع الرسمي وأميل إلى الصفة العملية، ولن تتأخر نتائجه الجيدة عن الظهور. ولما كنت أعرف ما بين كلينتون و ’ماك‘ من تقارب بحكم صداقتهما التي تعود إلى أيام المدرسة الابتدائية، كنت على يقين من أن الوثيقة ستجد طريقها إليه إن أجلاً أم عاجلاً بعد أن ينتهيا الاثنان من تناول الغذاء في أجواء أليفة. وقد سجلت رئاسة الجمهورية حضورها أيضاً بعد اختتام الاجتماع حيث بدرت عنها لفتة كريمة عندما ناولني أحد السعاة وأنا أهم بالخروج ظرفاً يحتوى صوراً أخذت لي وأنا أمام المكتب البيضاوي أثناء زيارتي السابقة قبل ستة أشهر. وهكذا عدت إلى الفندق غير آسف على شيء عدا عدم اهتمامي واستمتاعي حتى ذلك الحين بمعجزة تفتح زهرات شجر الكرز في ذلك اليوم الربيعي البديع.

”فالوقت المتبقي أمامي كان يتسع بالكاد لحزم حقيبتي والحقاق بطائرة الساعة الخامسة مساءً. وكانت الطائرة التي أقلتني من المكسيك قبل أسبوعين قد عادت إلى قاعدتها بعد أن حصل لها عطب في إحدى محركاتها التوربينية. وبقينا أربع

ساعات في المطار إلى أن توافرت طائرة أخرى. وتأخر في واشنطنون إقلاع هذه الطائرة التي أخذتها للعودة إلى المكسيك ساعة ونصف الساعة والمسافرون على متنها ريثما تم إصلاح الرادار. وقبل الهبوط في المكسيك بعد خمس ساعات من ذلك، تعين علينا أن نخلق فوق المدينة لمدة ساعتين تقريباً بسبب تعطل أحد المدرجات. ولم يكن حدث لي قط شيء كهذا منذ أن سافرت لأول مرة بالطائرة قبل اثني وخمسين سنة. ولكن كان لا بد من أن يختلف الأمر تماماً إذ أنه يتعلق هنا بمغامرة لخدمة السلام ستحتفظ للأبد بمكان مميز في مذكراتي. ١٣ أيار/ مايو ١٩٩٨.“

وهنا ينتهي هذا التقرير التاريخي.

٩ أيار/ مايو ١٩٩٨: تم استقبال المدير المباشر بالنيابة لمخابرات الولايات المتحدة، جون باودمان، في وزارة الخارجية. وكان الغرض من زيارته هو نقل رسالة تلقوا بشأنها ليلة ٨ أيار/ مايو تعليمات لإيصالها إلى ألكون ووزارة الخارجية - والأكد أن الرسالة وصلت في نفس هذا اليوم وكان لها الأثر الذي أراده غارسيا - ماركيس. وقال المدير المباشر بالنيابة أنه نأ إلى علمه من مصادر لا يعلمها أن الحكومة الكويتية أبلغت حكومة بلده بأن سلطاتنا تساورها مخاوف لها ما يبررها من وجود منظمات مقرها الولايات المتحدة خطط للقيام بأعمال إرهابية ضد كوبا، وبخاصة في قطاع السياحة، وبالتحديد هجمات ضد الطائرات التي تقل سواح من كوبا وإليها.

وكان رد حكومة الولايات المتحدة الذي سلموه لنا كالتالي:

”• إن حكومة الولايات المتحدة ليس لديها أي معلومات عن وجود صلات تربط بين مواطنين من الولايات المتحدة في أعمال إرهابية تستهدف الفنادق. وقد أوردت الصحف تخمينات كهذه ولكن حكومة الولايات المتحدة ليس لديها معلومات جادة عن هذا الأمر.

”• بعثت حكومة الولايات المتحدة عدة مذكرات دبلوماسية تعرب فيها عن استعدادها لدراسة أي معلومات أو أدلة مادية قد تكون بحوزة الحكومة الكويتية تؤيد معلوماتها.

”• تود حكومة الولايات المتحدة أن تؤكد من جديد أن هذا العرض جدي. وهي مستعدة لقبول أي معلومات وستنظر فيما إذا كان بإمكان خبرائها أن يفحصوا أي دليل مادي قد يكون بحوزة الحكومة الكويتية في هذا الشأن.

•” تعرب حكومة الولايات المتحدة عن خشيتها من هذه الأعمال الإرهابية وهي مستعدة للتصرف بناء على هذه المعلومات لإنفاذ القانون ومكافحة الإرهاب الدولي.

•” تطلب حكومة الولايات المتحدة من الحكومة الكوبية أن تتقاسم المعلومات المناسبة مع غيرها من الحكومات المعنية بشأن خطر الأعمال الإرهابية على الرحلات المتجهة إلى كوبا انطلاقاً من أراضيها“

١١ أيار/ مايو ١٩٩٨: ذكر راميرس أن وزارة الخارجية استدعته إلى اجتماع مع جون هاميلتون الذي أثار معه النقاط التالية:

” (١) إن الهدف من الاجتماع هو إعادة تأكيد الطلب المقدم من قسم رعاية مصالح الولايات المتحدة يوم السبت الماضي؛ وهو استجابة للمخاوف التي أعربنا عنها بشأن شن هجمات إرهابية على كوبا ويستعان فيه بقنوات دبلوماسية مزدوجة المسار لتسريع الأمور.

” (٢) لقد أخذوا بجدية مخاوفنا من أي أعمال إرهابية محتملة ضد المرافق السياحية والطائرات مثلما فعلوا في مناسبات سابقة.

” (٣) يتضح من التحقيقات التي أجروها أنه لا توجد خطط مصدرها الولايات المتحدة.

” (٤) في الماضي، كانوا كلما قلنا لهم أن أناسا و/أو منظمات في الولايات المتحدة ضالعون في أعمال إرهابية ضد كوبا، يطلبون منا أدلة لأنهم يريدون التحقيق في الأمر.

” (٥) هذه المرة يودون التشديد على جدية الولايات المتحدة في عرضها إجراء تحقيقات واتخاذ الإجراءات المناسبة على أساس أي دليل يكون بحوزتنا. وهذه ليس محاولة لإرجاع الكرة إلى ملعبنا، كما أن عرضهم ليس شكلياً.

” (٦) إنهم جادون تماماً في سعيهم لإجراء فحوص مشتركة لأي دليل قد يكون بحوزتنا ومتابعة الأمر للاستيضاح. وقد شكرناهم على عرضهم وأكدنا لهم أننا سنحيله بدورنا إلى سلطاتنا. كما سألناهم إن كان العرض يشمل أيضاً التعاون بين البلدين في أي تحقيقات محتملة، وأجاب هاميلتون بأنه يفترض ذلك. وكرر هاميلتون أن العرض جدي وليس مجرد رد دبلوماسي وأضاف أن هذه المسألة الهامة هي الغرض الوحيد من الاجتماع“.

١٢ أيار/مايو ١٩٩٨: استدعت وزارة الخارجية الرئيس المباشر بالنيابة لقسم رعاية مصالح الولايات المتحدة وأبلغته بالرد التالي على الطلب الذي قدمه يوم السبت الماضي، ٩ أيار/مايو، باسم حكومة الولايات المتحدة، تذكروا أن المقابلة، التي جرت مع غارسيا ماركيس في البيت الأبيض كانت في يوم ٨. وكان ردنا كما يلي:

”المعلومات التي بحوزتنا موثوقة، ولكنها وصلتنا عن طريق مصادر حساسة لا يمكن الكشف عنها. ولا نستطيع العمل بالصيغة التي تقترحونها ويكفي أن نعلم أنكم في حالة استنفار وتهتمون بالمشكلة“.

وقبل الرئيس المباشر بالنيابة منا هذه الإجابة، وشكرنا على ردنا السريع. وقال إنه يريد إيصال المعلومات التي نرى أنها هامة دون المساس بمصدرنا. وتحدث رفيقه الذي قُدم على أنه المسؤول في قسم رعاية مصالح الولايات المتحدة عن المسائل المتعلقة بإنفاذ القانون والمسائل الأمنية، فأكد أنهم سيتابعون هذه المسألة عن كثب من خلال جميع القنوات الممكنة، ومن خلال جميع وكالاتهم وبالبقاء على اتصال مع عدة مجموعات. وسيفحصون أيضا أمورا مع الأجهزة الأمنية لبلدان أخرى. وقال إنه يعتقد أنه لا مجال للتسامح مع أي تهديدات من هذا النوع في ”الظروف الحالية“.

٢٠ أيار/مايو ١٩٩٨: تلقى ألاكرون مكالمة هاتفية من هاميلتون الذي كان في واشنطن العاصمة آنذاك. وقال له هاميلتون إنه يطلبه شخصيا بسبب أهمية المسألة وإنه يرغب في الإشارة إلى النقاط التالية:

• ”فيما يتصل بخطر تعرض الطائرات المتجهة إلى كوبا لأعمال إرهابية: إنهم يأخذون المعلومات التي نقلتها إليهم كوبا على محمل الجد البالغ، وسوف يتخذون تدابير أمنية على الطائرات التي تقلع من الولايات المتحدة.

• ”يلزمهم من أجل اتخاذ أي إجراءات أخرى أن يقوموا بتحليل الأدلة المتوافرة لدينا في كوبا. وهم على استعداد لإرسال خبراء من الولايات المتحدة إلى كوبا للاشتراك معنا في تحليل تلك المعلومات.

• ”ليس في وسعهم بناء على المعلومات التي وردتهم منا أن يقوموا بتحذير بلدان أخرى تقلع منها طائرات إلى كوبا. فإذا قررنا توجيه مثل هذا التحذير، يمكننا إخطار تلك البلدان بأن الولايات المتحدة على استعداد للاهتمام فورا بما يصلها من طلبات للحصول على المساعدة التقنية، اللازمة لتفادي وقوع أي حوادث“.

٣ حزيران/يونيه ١٩٩٨: التقى مايكل كوزاك، رئيس قسم رعاية مصالح الولايات المتحدة، مع ألاكرون. وقال له إن هناك وفدا من مكتب التحقيقات الاتحادي يستعد للسفر إلى كوبا، ثم سلمه النص الذي يعتزم الأمريكيون تعميمه على شركات الطيران، حتى يتسنى للكوبيين النظر فيه. وقد جاء في ذلك النص ما يلي:

”لقد تلقينا معلومات غير مؤكدة عن وجود مخطط لزرع أجهزة متفجرة على طائرات مدنية تقوم برحلات بين كوبا وغيرها من البلدان في أمريكا اللاتينية. ويعتزم الضالعون في هذا المخطط ترك جهاز متفجر صغير على متن إحدى الطائرات بقصد تشغيله في وقت ما أثناء الرحلة. والجهاز المذكور، وفقا للتقارير الواردة، هو جهاز صغير به صمام وجهاز توقيت رقمي يمكن برمجته قبل الوقت المقرر للتفجير بـ ٩٩ ساعة. ولم يجر تحديد الهدف المحدد للتفجير أو مكانه أو إطاره الزمني.

”ولا يمكننا استبعاد احتمال أن يمتد هذا التهديد إلى طائرات الشحن الدولي التي تقلع من الولايات المتحدة. وما زالت الولايات المتحدة تسعى للحصول على معلومات إضافية توضح كنه هذا التهديد أو توكده أو تنفيه“.

٤ حزيران/يونيه ١٩٩٨: تلقى ألاكرون تعليمات بالرد بإمكان أن يتوجه الوفد المذكور إلى كوبا بعد ١٥ حزيران/يونيه.

٥ حزيران/يونيه ١٩٩٨: أبلغ ألاكرون رئيس قسم رعاية مصالح الولايات المتحدة بالرد الكوبي على التعميم الإعلامي الأمريكي المقترح، وهو الرد الذي شاركت أيضا في صياغته، إذ كنت، كما هو منطقي وضروري، أتابع هذه المشكلة منذ توجيهنا للرسالة المذكورة، وينص ذلك الرد حرفيا على ما يلي:

”إننا لم نطلب منكم إصدار أي تحذير لشركات الطيران. فليس هذا أسلوب التعامل مع هذه المشكلة، إذ أن هناك نوعا مختلفا من التدابير التي يمكن، بل ويجب اتخاذها لعلاج المشكلة.

وكان هذا اقتراحنا تحديدا لعدة أسابيع، وذلك بالطبع إلى أن أدت الضربات التي نزلت بهم من جراء الاعتقالات التي تمت في كوبا، واكتشاف جميع مخططاتهم، والاعترافات التي أدلى بها جميع المعتقلين، إلى تمكيننا من معرفة تفاصيل كل شيء، وأتاحت لنا الإعراب عن إدانتنا ووقف تنفيذ مخططاتهم. ويعود الفضل لكوبا في إحباط هذه المخططات. ولذا، قررنا أنه يجب على أن أوضح التالي: إن هذا ليس الأسلوب المناسب للتعامل مع هذه المشكلة، فهناك تدابير يمكن، بل يجب، اتخاذها لعلاج المشكلة.

”فليس في وسع أحد أن يضمن السرية. وفي هذه الحالة يمكن لأي تسريب للمعلومات أن يزيد من صعوبة التحقيق وأن يسد الطريق على اتخاذ تدابير أكثر فعالية.

”علاوة على ذلك، فإن تعميم مثل هذا التحذير يمكن أن يوجد، كما حدث بالفعل، حالة من الفزع تؤدي بالتالي إلى إلحاق ضرر بالغة بالاقتصاد الكوبي، وهو بالذات ما ينشده الإرهابيون. ويمكن أن يمتد هذا الضرر أيضا إلى شركات الطيران.

”ومن ثم، فنحن غير موافقين على إصدار التحذير، بل ونعارض ذلك بشدة. ويمكننا أن نحري تحليلا شاملا بالاشتراك مع فريق الخبراء التابع لكم للوقوف على أصوب الخطوات التي يمكن اتخاذها“.

وذلك أنهم كانوا بالفعل على درجة من اللطف، إن جاز التعبير، أو من الكياسة المطلوبة بحيث قاموا باستشارتنا بشأن المذكرة التي كانوا يعتزمون تعميمها. وقد شرحنا لهم وجهة نظرنا. وفي الاجتماع، أشار رئيس قسم رعاية مصالح الولايات المتحدة إلى احتمال وجود لبس بالنسبة للرسالة الأولى (فقد ظنوا بأننا نطلب إليهم إصدار تحذير) أو احتمال وجود نوع من الالتزام القانوني يفرض على سلطاتهم تحذير شركات الطيران، وبالتالي تفادي احتمال المطالبة بتعويضات. وقال إنه سيبلغ واشنطنون بموقف كوبا وإنهم لن يقوموا بإصدار أي تحذيرات.

٦ حزيران/يونيه ١٩٩٨: اجتمع الأركون مرة أخرى مع رئيس قسم رعاية مصالح الولايات المتحدة. وقام الأخير بتسليم الأركون رسالة من الولايات المتحدة ترد فيها على الوثيقة التي تم تسليمها في اليوم السابق، وكان قد تلا تلك الرسالة من قبل على الأركون في مكالمة هاتفية تمت بينهما، وقال له ما يلي:

”١ - يطلق على مسودة النشرة التحذيرية التي عرضت بالفعل على الجانب الكوبي ”تعميم إعلامي“. وتقتضي قوانين ولوائح الطيران في الولايات المتحدة تقديم تعميمات إعلامية لمكاتب الأمن الداخلي لشركات الطيران كلما توافرت لدى حكومة الولايات المتحدة أي معلومات لها مصداقيتها بشأن احتمال تعرض إحدى الطائرات للتهديد“.

لقد أوضحوا أن هناك قوانين ولوائح تقتضي منهم تعميم المعلومات. حسنا، يمكن أن تكون بعض المناقشات قد جرت بشأن كيفية القيام بذلك، دون إدراج كافة المعلومات التي أوردناها في الرسالة.

”٢ - تصدر إدارة الطيران الاتحادية ما يتراوح بين نحو ١٥ و ٢٠ تميمًا إعلاميًا كل سنة. وهذه التعميمات ليست من الوثائق العامة“.

إنها بالطبع ليست من الوثائق العامة؛ ولكن إذا جرى تميم عشرات أو مئات الوثائق، فإن ذلك يوجد حالة من الرعب في كل مكان. ويصبح من المستحيل عندئذ إجراء تحقيقات جدية للتحري وجمع الأدلة والعثور على الجناة واعتقالهم، وهو الأمر الهام. بيد أنه علي أن أنقل ما قيل. وقد لا أكون على علم كامل بتلك اللوائح التي يرون أنها تلزمهم قانونا بالإبلاغ عن التهديد المذكور.

”٣ - يجب علينا بموجب قوانيننا ولوائحنا أن نمضي على الفور في تنبيه شركات الطيران التي تسير طائرات ما بين الولايات المتحدة وكوبا، سواء مباشرة أو عبر بلدان ثالثة، وتنبيه حكومات البلدان الثالثة. وليس لنا الخيار في هذه المسألة مادامنا نري أن المعلومات لها مصداقيتها“.

حقيقي أن المعلومات كان لها مصداقيتها؛ فقد كان في وسعنا تماما معرفة ذلك، حسبما يتبين من الأجوبة التي أعطيناها لهم، والتي تشهد على نحو موثوق بأن المعلومات التي وردتنا مؤكدة، وقد تم في بعض الحالات اعتقال الجناة، بينما تمكن الجناة من الهرب في حالات أخرى.

”٤ - وبالنظر إلى طابع هذه المعلومات، والالتزام المترتب علينا بشأن التعاون مع البلدان الأخرى على منع تعرض الطائرات للهجمات، مازلنا نرى أنه من المهم أن تقوموا أنتم أو نقوم نحن بتنبيه شركات الطيران التي تسير رحلات من أماكن أخرى وتنبيه الحكومات المسؤولة. وإذا أمكن للجانب الكوبي تقديم موعد اجتماع الخبراء إلى بداية الأسبوع المقبل (أي يوم الثلاثاء أو الأربعاء)، فإننا نقترح إصدار هذه الإخطارات بعد أن تكون الفرصة قد أتاحت لنا كي نقيم المعلومات مع الجانب الكوبي. وفي حالة عدم إمكان عقد هذا الاجتماع في وقت مبكر، فإننا سنمضي في إصدار هذه الإخطارات. ويمكن في أثناء اجتماع الخبراء الذي سيعقد في الأسبوع الذي سيبدأ في ١٥ حزيران/يونيه تحديد أي خطوات أخرى يلزم اتخاذها“.

هذه المذكرة في الواقع مؤرخة ٦ حزيران/يونيه. ولا يمكن أن يجري بصورة مرتجلة عقد اجتماع كذلك المحدد له يوم ١٥ حزيران/يونيه. إذ يتعذر التحضير له في يومين، وإنما يتطلب الأمر ما لا يقل عن خمسة أو ستة أيام. ونظرًا لأنه لم يجر تقديم موعد الاجتماع، فقد عقد في الواقع في ١٥ حزيران/يونيه، وهو الموعد المتفق عليه.

”ه - إننا نقدر النقاط التي أثارها السلطات الكويتية بشأن السعي إلى تفادي الإضرار بالتحقيقات والتأثير سلباً على شركات الطيران والاقتصاد الكويتي. ونحن نفعل كل ما في وسعنا لمراعاة هذه النقاط في حدود السلطة التقديرية المحدودة المخولة لنا بموجب قوانيننا ولوائحنا والأولوية التي نوليها لمنع تعرض الطائرات المدنية للهجوم. ونكرر أن هذه التعميمات الإعلامية هي مسألة روتينية إلى حد ما ولا تترتب عليها عادة فيما شهدناه من قبل آثار كبيرة أو دائمة بالنسبة لنقل الركاب أو شحن البضائع عن طريق الجو، حتى عندما يجري الإعلان عنها“.

لا بد في الواقع من الإقرار بأنهم كانوا يردون على كل نقطة أثارناها. وفي تقديري أنهم قاموا بعمليات تبادل المعلومات تلك بحسن نية، ودون خداع وقد حاولنا أن نتعمق في الأمر، ولكننا رأينا أنهم مصرون بشدة على وجود صكوك قانونية تفرض عليهم الإبلاغ. وفي ذلك اليوم نفسه، سلم ألكون رئيس قسم رعاية مصالح الولايات المتحدة رداً كويماً جديداً من وزارة الخارجية الكويتية، وكان نصه كالتالي:

”نحن نختلف في الرأي. فاحتمال الإعلان عن هذه المعلومات سوف يضر بالتحقيقات، ويدعم مخططات الإرهابيين ضد الاقتصاد الكويتي ويشجعها.

”ونحن لا ندري بوجود التزامات ذات طابع قانوني يمكن أن تضر بالجهود المبذولة لتفادي وقوع خسائر بشرية أو مادية، بدلاً من أن تفيد هذه الجهود، ولا يمكننا فهم هذه الالتزامات.

”إن الإعلان بأي شكل عن تفاصيل الإجراءات التي يمكن استخدامها في هذا الصدد هو خطأ لا شك فيه يمكن أن يفيد المخططات التي تضعها الجماعات الإرهابية النشطة أو الجماعات التي يمكن أن تنضم إلى صفوف الإرهاب“.(لم نكن نريدهم أن ينشروا تلك المعلومات لأنهم كانوا سيكشفون بذلك عن بيانات تقنية بشأن طريقة تدبير مثل هذه الهجمات). ”إننا نحترم المعايير التي تأخذ بها السلطات الأمريكية، إلا أننا لا نوافق على كيفية مواجهة تلك الأنشطة؛ إذ لا بد من توخي الحرص والتعمق في تحليل الأنشطة المذكورة على النحو الواجب، بناءً على المعلومات المتاحة“.

لقد اتضح الأمر تماماً الآن. فقد كانت لديهم بلا شك مخاوف من وقوع حادث أو عمل تخريبي من هذا النوع، دون أن يكشفوا لشركات الطيران المعنية عما لديهم من معلومات، مع أنها في حوزتهم، رغم أن هذا الأمر لن يفيد بأي شيء على الإطلاق،

فشركات الطيران ليس لديها القدرة أو الوسائل أو الخبرة أو المعلومات اللازمة لتفادي عمل إرهابي من هذا النوع.

وأوضح رئيس قسم رعاية مصالح الولايات المتحدة أنه تحدث إلى السيد دوبيتز، المسؤول عن شؤون أمريكا اللاتينية في مجلس الأمن القومي، الذي طلب إثارة النقاط الإضافية التالية:

”• تفرض القوانين الأمريكية عليهم التزاما بتنبية الشركات التي تسير رحلات جوية من الولايات المتحدة، وهم ملتزمون بسبب الاتفاقات الدولية بتنبية الشركات التي تسير رحلات جوية إلى كوبا من بلدان أخرى. ويدل القرار الذي اتخذ بإصدار هذا التحذير على أنهم يأخذون المعلومات المتوافرة لدينا مأخذ الجد وأنهم يعتبرونها معلومات موثوق فيها“.

وقد أثبتوا ذلك بالفعل بما أبدوه من قلق بالغ دفعهم إلى تعميم المعلومات فوراً.

”• فيما يتعلق بالفقرة ٤ من الوثيقة، يؤكد دوبيتز قائلاً إننا لا يجب أن نفسرها بأي شكل على أنها عنصر للضغط. فكل ما في الأمر هو أنهم ملزمون بتنبية الشركات التي تسير رحلات جوية من الولايات المتحدة على الفور، أما الالتزام الواقع عليهم فيما يتعلق بشركات الطيران التي تقلع رحلاتها من بلدان أخرى، فهو، رغم وجوده، لا يفرض عليهم نفس القدر من الضغط، ولكن ليس في وسعهم حجب المعلومات لمدة أسبوع بالكامل. وعلى الرغم من أن اجتماع الخبراء يمكن من الوجهة النظرية أن ينتهي إلى أن التهديد ليس وشيكاً، فإنه لا يمكنهم، نظراً لأنهم منذ البداية يأخذون معلوماتنا مأخذ الجد ويرون أن لها مصداقيتها، أن ينتظروا كل هذا الوقت دون الوفاء بالالتزام الواقع عليهم“.

ليس لدي شك في أنهم كانوا يتحدثون بحسن نية، ومن العدل الاعتراف بجدية الجانبين فيما اضطلعوا به من عمليات تبادل للمعلومات.

٨ حزيران/يونيه ١٩٩٨: أصدرت وكالة الطيران الاتحادية التعميم الإعلامي المذكور. وذلك تقريباً في نفس اليوم، إذ تم تعميمه بعد يومين فقط.

١٥ حزيران/يونيه ١٩٩٨: وصل وفد مكتب التحقيقات الاتحادي إلى هافانا للاجتماع بالسلطات الكوبية.

١٦-١٧ حزيران/يونيه ١٩٩٨: عقدت عدة اجتماعات مشتركة بين الخبراء الكوبيين ووكلاء مكتب التحقيقات الاتحادي بشأن موضوع مخطط الهجمات الإرهابية. وتم تزويد

وفد الولايات المتحدة بمعلومات وفيرة، سواء من خلال الوثائق أو الإفادات. واشتملت المواد التي تم تسليمها على ٦٤ صفحة من المعلومات المستقاة من التحقيقات التي أجريت بشأن ٣١ عملا ومخططا إرهابيا ضد بلدنا، تمت جميعها في الفترة من ١٩٩٠ إلى ١٩٩٨. وقد أمكن الربط بين معظم تلك الأعمال والمؤسسة الوطنية الأمريكية الكويتية التي قامت أيضا بتدبير وتحويل أخطر تلك الأعمال، وبخاصة الأعمال التي ارتكبتها الشبكة الإرهابية التي يتزعمها لويس بوسادا كاريلس في أمريكا الوسطى. واشتملت تلك المعلومات على قوائم تفصيلية بالأسلحة والمتفجرات وغيرها من المواد التي صودرت في كل حالة، وعلى صور فوتوغرافية لها. وبالإضافة إلى ذلك، أعطيت لمكتب التحقيقات الاتحادي ٥١ صفحة تشتمل على معلومات تتعلق بالأموال التي قدمتها المؤسسة الوطنية الأمريكية الكويتية لجماعات إرهابية مختلفة لارتكاب أعمال إرهابية ضد كوبا. كما تلقى المكتب تسجيلات لـ ١٤ مكالمات هاتفية لبوسادا كاريلس قدم فيها معلومات بشأن هجمات إرهابية ضد كوبا. كما قدمت معلومات بشأن كيفية تحديد مكان بوسادا كاريلس، من قبيل عنوانين منزله، والأماكن التي يرتادها، ونوع وأرقام لوحات السيارات التي استخدمها في السلفادور وهندوراس وكوستاريكا والجمهورية الدومينيكية وغواتيمالا وبنما. كما أعطي خبراء مكتب التحقيقات الاتحادي ٨ نصوص مدونة حرفيا لمحادثات جرت مع إرهابيين تم اعتقالهم في كوبا، يتحدثون فيها عن صلتهم ببوسادا كاريلس.

وتلقى وكلاء مكتب التحقيقات الاتحادي أيضا ٦٠ صفحة تشتمل على ملفات عن ٤٠ إرهابيا من أصل كوبي، ومعظمهم يعيشون في ميامي، وبيانات عن كيفية العثور عليهم. كما أخذوا معهم ثلاث عينات من مواد ناسفة وزن كل منها غرامان، أخذت من القنابل التي تم إبطال مفعولها قبل انفجارها في فندق ميليا كويبا في ٣٠ نيسان/أبريل ١٩٩٧، وأخرى وجدت على حافلة سياحية في ١٩ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٩٧، إلى جانب جهاز متفجر صودر في ٤ آذار/مارس ١٩٩٨ من إرهابيين غواتيماليين.

كما تم تسليم ٥ شرائط فيديو و ٨ شرائط كاسيت تشتمل على أقوال الإرهابيين المنتمين إلى أمريكا الوسطى الذين تم اعتقالهم لقيامهم بوضع قنابل في بعض الفنادق. ويتحدث هؤلاء الإرهابيين في أقوالهم عن صلتهم بالمنظمات الكويتية الإرهابية التي تعمل انطلاقا من الولايات المتحدة، وبالتحديد عن صلتهم بلويس بوسادا كاريلس.

وقد اعترف الجانب الأمريكي بقيمة المعلومات التي أعطيت له والتزم بإرسال رد يشتمل على تحليل لهذه المواد في أسرع وقت ممكن.

ومن الغريب أن ثلاثة أشهر قد انقضت دون تلقي الرد الجاد الموعد. إذ لم ترد سوى بعض الأنباء التي ليس لها أهمية.

١٢ أيلول/سبتمبر: انتبهوا جيدا، لم تمض ثلاثة أشهر إلا وكان قد تم القبض على الرفاق الخمسة، الذين يعتبرون الآن من أبطال جمهورية كوبا. وكان هؤلاء الرفاق قد أوفدوا إلى ميامي، وكانوا يشكلون مصدرنا الرئيسي للحصول على معلومات بشأن الأنشطة الإرهابية التي تستهدف بلدنا. ولم يعتقل أي من الإرهابيين في أي مكان، وإنما تم اعتقال الرفاق الذين قاموا بنقل المعلومات، على الرغم من أنه لم تكن هناك أي وسيلة بالطبع لتحديد هوية المصادر. ولكن ما أمكنهم إدراكه هو وجود معلومات جدية وموثوقة، وأن بلاغتنا كان لها ما يبررها وكانت صادقة، وهي ليس الوحيدة، وإنما تندرج بالطبع ضمن البلاغات الأساسية.

وكان أحدهم مسؤولا عن رصد أنشطة أورلاندو بوش ذاته، الذي تم العفو عنه في الولايات المتحدة على الرغم من الجرائم الشنعاء التي ارتكبتها.

فماذا حدث بالفعل؟ لقد فطن قادة عصابة ميامي إلى الاتصالات وعمليات تبادل المعلومات التي جرت بين سلطات كوبا والولايات المتحدة بشأن الأعمال الإرهابية الوحشية التي يرتكبوها ضد بلدنا وهم بمنأى من العقاب وعبأوا قواهم واستخدموا كل ما لديهم من نفوذ، وهو كما تعلمون عظيم، لكي يحولوا بأي ثمن دون حدوث تقدم في هذا الشأن.

أنحدرون من كان بين كبار المسؤولين عن قطع الاتصالات؟ إنه رئيس مكتب التحقيقات الاتحادي في ميامي، هيكتور بيسكيرا، الذي كان يشغل المنصب ذاته في بورتوريكو عند إلقاء القبض على مجموعة من الكوماندوز قامت بتنظيمها مباشرة الجماعة شبه العسكرية التابعة للمؤسسة الوطنية الأمريكية الكوبية، وقد ألقى خفر السواحل القبض عليهم بالقرب من الجزيرة بعد أن اعتلوا زورقهم وصادروا الأسلحة التي كانت معهم. والكل يعرف الهدف الذي كانت هذه المجموعة من الكوماندوز تسعى إليه في جزيرة مرغريتا إبان انعقاد اجتماع دولي فيها كنا قد دعينا لحضوره ولبينا الدعوة.

وقد لعب بيسكيرا، عضو العصابة، دورا رئيسيا في توفير حماية كاملة للجماعة الإرهابية من العقاب.

ومن المعروف أن الدوائر العليا في مكتب التحقيقات الاتحادي أبدت قدرا من المعارضة لفكرة قطع قنوات تبادل المعلومات مع كوبا. ولكن سلطة زعماء العصابة ونفوذهم

السياسي كانا أشد وأقوى منها، بل حتى من رئيس الولايات المتحدة ومن مجلس الأمن القومي لذلك البلد كما تبين.

ولا ريب أن مكتب التحقيقات الاتحادي كان يتعقب خطوات فريق مكافحة الإرهاب الكوبي الذي حصل على معلومات بشأن خطط لتفجير طائرات مدنية على الأرض أو في الجو توليت نقلها إلى رئيس الولايات المتحدة. وهذه الأفعال المروعة كان من الممكن أن تؤدي بحياة مواطنين من كوبا ومن الولايات المتحدة، إذ يتوجه كثيرون منهم لزيارة كوبا على متن هذه الطائرات.

وقد ركز بيسكيرا، رئيس مكتب التحقيقات الاتحادي في ميامي، جميع جهوده على تحديد هوية المواطنين الكوبيين وملاحقتهم وتقديمهم إلى المحاكمة. ولا تخفى على أحد المعاملة الوحشية التي تعرض لها هؤلاء الوطنيون الكوبيون.

ووفقا لما نشر في صحيفة النويو هيرالد في عددها الصادر بتاريخ ١٥ أيلول/سبتمبر ١٩٩٨ كان أول المسؤولين الذين بادر بيسكيرا إلى إخطارهم بنبأ القبض على أبطالنا الخمسة إيلانا روس ليتين، ولنكولن دياس - بالارت، عضوي الكونغرس.

وقد أدلى بيسكيرا نفسه باعترافات في برنامج مذاع من ميامي توضح لنا كيف أتى من بورتوريكو وقد بيت النية على أن يلاحق بأي ثمن الفريق الكوبي الذي احترق المنظمات الإرهابية العاملة في ميامي حيث قال:

”وصلت إلى هنا في أيار/مايو من هذا العام، ١٩٩٨. وأطلعوني على ما يدور، ومن ثم بدأنا في الاهتمام باستقصاء الأمر. وجمع التحريات، كان علينا ألا نتوقف عند ذلك الحد، وأن نغير وجهتنا ونشرع من ثم في إجراء تحقيق جنائي“.

كان بيسكيرا بالفعل قد اتخذ قراره وأصدر أوامره، وقال إنه ليس من الضروري المضي في استقصاء الأنشطة الاستخبارية، بل ينبغي إجراء تحقيق جنائي مع الوطنيين الكوبيين.

والخط الذي ينتهجه بلدنا مختلف جد الاختلاف. ففي لقاء مع الصحفية لوسيا نيومان، من السي إن إن، في أوبورتو، البرتغال، إبان مؤتمر القمة الأيرى - الأمريكي في ١٩ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٩٨ - ولم تكن الإجراءات القانونية المروعة، التي بتنا نعرفها منذ ذلك الحين، قد اتخذت بعد - قلت بالحرف الواحد، في ذلك اليوم، ١٩ تشرين الأول/أكتوبر، أي بعد شهر ونيف على القبض على أول مجموعة من رفاقنا، ما يلي:

”إننا مستعدون للتعاون في مكافحة الأنشطة الإرهابية التي يمكن أن تؤثر على كوبا أو على الولايات المتحدة.

”إن الخطر متربص بالولايات المتحدة من جراء وجود المئات من المنظمات الإرهابية، حيث إن الكثير منها يحمل السلاح في أرضها هي نفسها. وبعض أفعالها التي تستهدف بها كوبا يمكن أن تستخدم هناك لأن بعض هذه المنظمات قد وصلت إلى حد بعيد من التطور والرقى - ”أعنى التطور والرقى من حيث الأساليب والإجراءات والتقنيات التي تتبعها“. وقد أبلغنا سلطات الولايات المتحدة بذلك وأوضحنا لها الأمر وروينا لها تجاربنا في هذا الشأن، وشرحنا لها الأساليب التي يستخدمها الإرهابيون ضد بلدنا، وهي مساهمة من شأنها مساعدة السلطات على الدفاع عن وطنها لأننا نعتبر هذا البلد معرض لاعتداءات من هذا النحو“.

وأكثر ما قد يثير الأسى لدى شعب الولايات المتحدة هو أنه في الوقت الذي دفع فيه الحقد بيسكيرا وأعوانه إلى أن يفرغوا أنفسهم لملاحقة المواطنين الكوبيين والقبض عليهم وتقديمهم إلى محاكمة هزلية، كان ما لا يقل عن ١٤ شخصا من الأشخاص التسعة عشر الذين شاركوا في هجمات ١١ أيلول/سبتمبر، التي تعرض لها البرجان التوأمان في مدينة نيويورك وأهداف أخرى، يعيشون ويتدربون تحديدا في المنطقة الواقعة تحت مسؤوليته وتحت أنفه.

و لم تكذ تنقضي ثلاث سنوات على القبض على رفاقنا البواسل، الذين يجسدون قيم التضحية وإنكار الذات - فبفضل المعلومات التي جمعوها والتي وضعتها كوبا تحت تصرف شعب الولايات المتحدة أمكن إنقاذ الكثير من أرواح مواطني هذا البلاد - إلا ولقي ألوف من مواطني الولايات المتحدة الأبرياء مصرعهم في ذلك اليوم المشؤوم من عام ٢٠٠١. أي أنه بعد أقل من ثلاث سنوات بالفعل من القبض عليهم، سقط الألوف من مواطني الولايات المتحدة هنا في نيويورك صرعى اعتداء تدربت الغالبية العظمى من مدبريه في فلوريدا.

وكما يمكن أن يشهد أبناء بلدي وكذلك الرأي العام الدولي، فإن الوثائق التي رفعنا عنها حاجز السرية لم يتضمن أيها عبارة مشطوبة واحدة.

وقبل أن أختتم كلمتي أود أنوه بأن كاتب التقرير، غابرييل غارسيا ماركيس، قد سئل عن رأيه في نشره، وقد بعثت إليه في أوروبا أمس فقط رسالة أوردت فيها ما يلي:

”لا مفر أمامي من الحديث عن فحوى الرسالة التي أرسلتها معكم عن أنشطة الإرهابيين ضد بلدنا، ولكن لن يكون في حديثي ما يمس الشخص الذي وجهت إليه الرسالة، ناهيك عن أن ينتقص فتيلًا من مجدكم الأدبي.

”وسوف ينصب الأمر في جوهره على عرض نص الرسالة التي بعث بها والتقارير الرائع الذي وافيتموني به موشى بأسلوبكم الذي لا تخطئه العين. إنها بمثابة مذكراتي الشخصية، وأعتقد أن مذكراتكم لن تكتمل ما لم تتضمن هذه الرسالة“.

ومن كل ما سبق، يتضح لماذا آثرت أن أبدأ حديثي بعبرة ”سلوك مختلف“.

تحيا الصداقة بين شعبي كوبا والولايات المتحدة .

(هتافات: ”تحيا الصداقة بين الشعبين، والوطن أو الموت؛ ولنا النصر“)
